

مصر: هل ذات صلة؟

كمال خلف الطويل*

وقبل أن يقفز أحد من مقعده سواء مأخوذاً بالسؤال أم مستنكراً لطرحة، فالمثار عندي، ليس في ما إذا وجب على مصر أن تكون ذات صلة، أو التشكيك بما إذا في وسعها أن تكون، وإنما مجرد سؤال: هل تكون؟

وبدءاً، فمنطق التاريخ والجغرافيا يقتضي أن تكون مصر لا ذات صلة فحسب، بل وضابط إيقاع مجالها بامتياز... لكن نظرة طائر على تاريخ مصر منذ عهد أواخر الأسر الفرعونية، وحتى عبر العصر العربي - الإسلامي، تقطع بأن نخبتها قصرت عن أن تكون على قد الجغرافيا أو فاعلة بالتاريخ، لا مستقبلية لحوادثه وصناعاتها، اللهم إلا إذا استثنينا الواقد المتمصر محمد علي - ونجله ابراهيم - والذي استوعب الخريطة واستلهم التاريخ.

والشاهد أن قنوات النخب أزمّن لحدّ أن أول حاكم مصري منذ أواخر العصر الفرعوني كان جمال عبدالناصر... وهو الذي خرج عن مألوف أسلافه، الذين تلووا محمد علي، من واقع إدراكه لليقظ لقيمة مصر الجغرافية الاستراتيجية، ومن أنها من دون عروة عربية صغر كبير، بمقدار ما ان العرب بلا مصر عرضة للتفرق أيدي سباً. لم يكن عبدالناصر من اكتشف عروبة مصر بل شريحة صغيرة من مثقفها كانوا أصواتاً في البرية، فيما سواد النخب الأعظم قد توزع هواء بين تاورب متوسطي، وتفرغ انعرالي، وشرقية غائمة، وإسلامية يجتمع فيها حلم ليلة صيف بمشبوب عاطفة. ولعل فرادة عبدالناصر عمن قبله وبعده هي في وعيه الدارس لحقيقة أن مصر عربية بوزن التنين وبدونها بوزن الريشة، وتصرف على هذا الأساس.

صحيح أن خبرة كوادره بالشأن العربي تفاوتت بين ضئيلة ومقبولة، وصحيح أن بعضهم تصرف بمنطق صرف مصلحي ضيق، وصحيح أن سوء إدارة مسارح وازنة خارج الوادي - سوريا واليمن بالتحديد - كان مفرطاً، إلا أن ذلك كله لم يأخذ من رصيد مصر ما يهدد.

والحاصل أن أخذ عبدالناصر مصر الى العروبة، حصل بتسارع لاهت لم يكفل تجذره، لا سيما وهو معطوف على نرجسية مصرية فيها من التزديد اللاشعوري ما يفيض عن

نواميس حب الوطن والتغني به، لتبدو وكأنها تعويض مستبطن عن طول استتباع، فترى المصري مستنكراً لتقد حاكمه من عربي غيره حتى ولو قال هو فيه أكثر مما قاله مالك في الخمر... وترى نهأبي مصر وسراقها وعملاء الخارج من بنيتها يصدحون بمعلقات الوله بمصرهم، وهم لا يتقون فيها الخالق.

عام 1948 اندفعت مصر الى حرب فلسطين بقرار من فاروقها الذي هاله ما نما الى علمه عن نية عبدالله . عبر الاردن . نهش «الدولة العربية» في فلسطين المنصوص عليها في قرار التقسيم وضمها لمملكته، فابى إلا أن تكون له طلة عليها، وفي جوارحه ان يكون نقب فلسطين وديعة عنده، ومعبره الى «الشام». شاركه ضباط جيشه في رؤيته، وهم من كان لبعضهم - إضافة - مشاعر اسلامية فياضة، سواء انتموا للإخوان أم اكتفوا بمصادقتهم، وعلى خلفية أزر شعبي واسع لعرب فلسطين في ذودهم عن حياضهم من منطلق مزيج من «الاسلامية» و«الشرقية».

اعتبر الجيش المصري أن من أسباب هزيمته في الحرب نكوص جيش عبر - الاردن عن عون، مكتفياً بحصته المتاحة صهيونياً - الضفة -... لا سيما وقد انتهى به المال أن لاحقته «الهاغاناه» حتى العريش، ولولا التدخل الأميركي اللاجم لبلغت العريش. شاعت الشائعات في بر مصر أن الفلسطينيين هم السبب «ففيهم ومنهم جواسيس الصهاينة، وأن لا خير في العرب بالجملة، فهاشميوهم من طعن مصر من الخلف وخانها».

على خلفية هذه التربة المستريفة من جيران الشرق جاء «23 يوليو»، والحاصل أن ما يعجب له المرء هو كيف استطاع عبدالناصر ان يردم تلك التربة بسرعة الضوء ليبدأ مشواره العروبي بإطلاق صوت العرب، ثم تبني ثورة تحرير الجزائر ثم كنس الأحلاف الغربية ثم شن حرب الفدائيين من غزة والضفة... كلها في برهة أعوام ثلاث على ذلك اليوم... تفسير ذلك من شقين: موضوعية قدر الجغرافيا معطوفاً على وزن التاريخ... وذاتية بصيرة رجل من قماشة قائد.

والحال أن ما سبق ظهوره على مسرح الشرق كان شيوخ نداء مزمن بين الموضوعي والذاتي لبث في ثنايا العقل السياسي الجمعي المصري منذ الاحتلال البريطاني، مدعائه إيثار النخب ما ظنفته سكة السلامة بحصرها

الاهتمام بالوادي - رغم فقر دم شديد لفهمها السودان - وحسر بصرها عما بعد سيناء. ولعل تلقف مصطفى النحاس إشارة انتوني إيدن لتأسيس الجامعة العربية عام 1944، ثم دخول فاروق حرب فلسطين عام 1948 كانا مدفوعين، في المقام الأول، بحافز الخشية من الهاشميين والصراع معهم على «الشام»، لا نزوعاً عربياً لوصل شقي آسيا وأفريقيا العربيين في منظومة استقلال وتكامل ونهضة.



لولا نقل عبدالناصر الجماهيري لطوح الانفصال بعروبة مصر في جب النكران (ارشيف)

هل يقرأ الرئيس بوتين مقالات ناهض حتر؟

عمر حصني*

الملك عبدا لله الثاني... ولكن للأسف بدون قطاع عام!

عزمي بشارة - ناهض حتر، ثنائية الموت، وإحراق سوريا من الداخل من الصعب أن ينسى أحد تلك المرحلة، عندما كان «المفكر العربي» عزمي بشارة صديقاً مقرباً من النظام السوري، ثم وبغمضة عين - بعد بدء الاحتجاجات في سوريا - أصبح بشارة الناطق الرسمي، والمعلم، والمرشد «للثورة السورية» يطل بشكل منتظم على شاشة «الجزيرة» ليعلم المعارضين السوريين كيف يمكن إسقاط النظام في عشرة أيام! ويقرر من المعارض «الحقيقي» ومن المعارض «الزائف»، ويعدد المقاتلين بالدعم القطري والأميركي، ويقنعهم أن الحوار والمصالحة خيانة للدم

السوري، ولا خيار أمامهم إلا القتال، ممارساً التضليل بأعلى صورته عبر ثنائية الموت «معارضة - نظام»، فالحراك المعارض برأيه ملاك لا يخطئ، والنظام شيطان متوحش. هكذا بعد أن أنجز مهماته الوطنية «على أكمل وجه» في فلسطين المحتلة، تفرغ بشارة «القومي اليساري» لقضية «الثورات العربية» إلى أن صدمته - هو وأميره السابق - الحقائق والتطورات الدولية والسورية، فما عدنا نسمع حتى باسمه.

في هذه الأثناء كان «الناطق الرسمي» باسم اليسار العربي القومي ناهض حتر ينتقد سياسات النظام السوري الليبرالية، ويوضح الجذر الاجتماعي للحراك السوري. ويشرح لنا كيف أدت هذه السياسات إلى تهيمش مناطق بأكملها في سوريا، ودفعت مئات آلاف السوريين للاحتجاج. ولكن حتر سرعان ما استدرك «خطاه» واكتشف الحقيقة. «ويمكننا أن نصف تلك الانتفاضة، منذ بداياتها، بأنها لم تكن سوى تعبير عن مناخ عربي عام، استخدمته النخب الليبرالية (بما فيها اليسارية؛ فاليساري يغدو ليبرالياً لدى سياسات النظام السوري الليبرالية، ويوضح الجذر الاجتماعي للحراك السوري. ويشرح لنا كيف أدت هذه السياسات إلى تهيمش مناطق بأكملها في سوريا، ودفعت مئات آلاف السوريين للاحتجاج. ولكن حتر سرعان ما استدرك «خطاه» واكتشف الحقيقة.

«ويمكننا أن نصف تلك الانتفاضة، منذ بداياتها، بأنها لم تكن سوى تعبير عن مناخ عربي عام، استخدمته النخب الليبرالية (بما فيها اليسارية؛ فاليساري يغدو ليبرالياً لدى سياسات النظام السوري الليبرالية، ويوضح الجذر الاجتماعي للحراك السوري. ويشرح لنا كيف أدت هذه السياسات إلى تهيمش مناطق بأكملها في سوريا، ودفعت مئات آلاف السوريين للاحتجاج. ولكن حتر سرعان ما استدرك «خطاه» واكتشف الحقيقة.

الزخار

تأسست عام 1953
تصدرت شركة «خبر بيروت»

رئيس التحرير المؤسس
جوزف سحاحة
(2006-2007)

رئيس التحرير المحرر المسؤول
إبراهيم الامين

■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب ■ مديرا التحرير: ايلي شلهوب، وفيق قانوص ■ اقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسنة عليف ■ مجتمع: مهدي زرافط ■ ثقافة:ولاس، اهل الاندري

■ رئيس مجلس الادارة: ابراهيم الامين ■ الادارة المالية: فادي خليك ■ الموارد البشرية: رما اسماعيل

■ المكاتب: بيروت - فردان - شام جونان - سنتر كوناكورد - الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 5963/113

www.al-akhbar.com

■ الامتانات الوكيل الحصري: شركة بروموفيكس 01/788200

■ التوزيع: شركة الوانك 03/828381-01/666314-15